إستراتيچية الأنساق البصرية والفكرية للحفاظ على هوية المدن التراثية (رؤية ذاتية لمدينة الإسكندرية)

Strategy of Visual and Intellectual Patterns to Preserve the Identity of Heritage Cities (A Personal Vision for the City of Alexandria)

أ.م.د/ محمود حسنين كامل سيف

أستاذ مساعد – قسم التصميمات المطبوعة – كلية الفنون الجميلة – جامعة الإسكندرية

Assist.Prof. Dr. Mahmoud Hassanein Kamel Saif

Assistant Professor - Department of Printed Designs - Faculty of Fine Arts - Alexandria University

mahmoud.hassaneen@alex.edu.eg

الملخص

يعد التراث مقياس ومؤشر لحضارة المجتمعات، ومعنى شامل لموروث يحمل قيم وتقاليد وعقائد وفكر ورؤى تنتمى لماضى وتمتد للحاضر والمستقبل ، للحفاظ عليها وإستمرارها يتطلب ذلك أيديولوچيات مستقلة تحكمه وتضعه في أطر خاصة خاضعة لتاريخه. تتمثل تلك المجتمعات فى بيئات ومدن – تسمى مدن تراثية – لها من الصفات ما يميزها عن غيرها من الشعوب والثقافات، تلك المدن ذات طابع خاص يعد كيانها طبقات وحقب زمنية متراكمة من عوامل فكرية ومادية وفلسفية جعلت منها حالة متفردة غير قابلة للتكرار، والذى يعد ذلك عامل أساسى فى تكوين هويتها ، ويكمن في قدرتها ما يسمى الصورة الذهنية التى لها من القدرة على الحفظ داخل الذاكرة البصرية.

ومن ثم جاء البحث في ثلاثة محاور..

أولاً: البعد المفاهيمى والتركيب البنائى للمجتمعات والمدن خلال مراحل تطورها حضارياً وصولاً لهويتها بما تحمله من تراث.

ثانياً: دور الأنساق الفكرية والبصرية فى إيجاد ديناميكية لتفاعل الأفراد داخل تلك البيئات (المدن) وذلك التراث الممتد.

ثالثاً: إستراتيچية المصمم فى صياغة ومعالجة عناصر البيئة التاريخية (المادية والمعرفية) للمدن التراثية فى صورة رموز بصرية برؤية معاصرة ، من خلال التطبيقات المختلفة للجوانب الاتصالية ، فى محاولة للحفاظ على ذلك االموروث.

الكلمات المفتاحية

تراث – أنساق فكرية – أنساق بصرية - صورة ذهنية.

Abstract:

Heritage is a measure and indicator of the civilization of societies, and a comprehensive meaning of a legacy that carries values, traditions, beliefs, thoughts, and visions belonging to the past and extending to the present and future. To preserve and continue it requires independent ideologies that govern it and place it in specific frameworks subject to its history. Those societies are represented in environments and cities - called heritage cities - which have characteristics that distinguish them from other peoples and cultures. These cities have a special character, their entity consisting of layers and epochs of accumulated intellectual, material, and philosophical factors, making them a unique case that cannot be replicated. This is a fundamental factor in forming their

identity, and lies in their ability what is called the mental image that has the capacity to be preserved within the visual memory.

The research is structured around three main cores:

- The conceptual dimension and structural composition of societies and cities throughout their civilizational development, leading up to their identity ingrained with heritage**.**
- The role of intellectual and visual Patterns in creating a dynamic interaction amongst individuals within these environments (cities), and it's the extended heritage**.**
- The designer's strategy in formulating and processing the elements of the historical environment (both physical and cognitive) of heritage cities into visual symbols with a contemporary vision, through various applications of communicative aspects, in an attempt to preserve that legacy.

Research Problem:

The research problem was embodied in several crucial points that necessitated attention to this study. They are as follows:

* There's a lack of awareness regarding the significance of studying the ideologies of peoples and the historical aspects that represent their identities.
* There's an absence of visual systems capable of facilitating communication and interaction among society members concerning their cultural heritage, which constitutes both their present and future legacy.
* Globalization, due to the imminent threat it poses, has resulted in the melting away of numerous cultures. This phenomenon has overshadowed and obliterated the foundations of societies with rich histories and civilizations, stereotyping their inhabitants and subjecting them to a uniform set of values.

Research Objective:

The research objective attempts to devise a strategy for designers that revitalizes and conserves the identity of these cities, by addressing their constituents and elements in a manner that ensures their extension and continuity for generations who did not witness that history firsthand (the searcher's experiment).

Key words

Heritage, Intellectual Patterns, Visual Symbols, Cognitive Imagery, a Mental Image.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث فى نقاط دعت إلى الاهتمام بتلك الدراسة. هى:

- فقد الوعى بأهمية دراسة أيديولوچيات الشعوب وما تحمله من جوانب تاريخية تمثل هويتها.
- غياب الأنظمة البصرية القادرة على عملية التواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع تجاه موروثاتهم التى تعد حاضرهم ومستقبلهم فيما بعد.
- العولمة بما أنتجته من خطر داهم عمل على ذوبان العديد من الثقافات، وطمس وتدمير قوام المجتمعات ذات التاريخ والحضارة العريقة ، وتنميط سلوك أفرادها وإخضاعهم لقيم واحده.

هدف البحث جاء هدف البحث كمحاولة لوضع إستراتيجية للمصمم تعمل على إحياء والحفاظ على هوية تلك المدن من خلال معالجة ما يمثل مفرداتها وعناصرها ، بصورة تجعل منها امتداد واستمرار لحضارتها وهويتها الثقافية لأفراد وأجيال لم تعاصر ذلك التاريخ (تجربة الباحث).

المقدمة

تعد الحضارة إرث الإنسان المادى والمعنوى الذى خلفه فى الماضى ، والذى إعتمد عليه فى مسيرة حياته وتقدمه فى الحاضر والمستقبل ، من معارف وعلوم وفنون وقيم وتقاليد وعادات وسلوك وإسلوب حياة يرتبط بالمظاهر المعنوية ، وهيكل بنائى متمثل فى العمارة والبيئة بمفردات ترتبط بالمظاهر المادية ، كل فى منظومة وسياق يتسم بالإتصال الفعال. فلا وجود لحضارة دون إنسان ولا إنسان من غير تاريخ ولا لحضارة لا تنتمى لتاريخ ، هذا التاريخ يمثله تراث له أيديولوچيات مستقلة تحكمه وتضعه في أطر خاصة خاضعة لتاريخة هذا وثقافته التى مر بها ، كيانه بيئات ومدن لها من الصفات والمظاهر ما يميزها عن غيره من شعوب العالم فيما يسمى المدن التراثية ، هيكلها طبقات وحقب زمنية متراكمة شكلتها عوامل فكرية وفلسفية وجعلت منها حالة متفردة غير قابلة للتكرار ، والذى يعد ذلك عامل أساسى في تكوين هوية المدينة وخلق ما يسمى الصورة الذهنية التي يتم حفظها داخل الذاكرة البصرية للمجتمع سواء المحلى أو العالمى.

ومن ثم جاءت الدراسة تجاه دور أنظمة التصميم الجرافيكى فى الحفاظ على هوية المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة والتي تمثلها المدن التراثية بما تحمله من أصاله وقيم فكرية ومعرفية ، وذلك في ظل الحداثة والإنفتاح على تيارات الثقافات الأخرى التي عملت على تشويش الهوية البصرية لواقعنا.

مشكلة البحث

غياب الأنظمة البصرية القادرة على عملية التواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع تجاه موروثاتهم داخل المدن التى تعد حاضرهم ومستقبلهم فيما بعد.

- فقد الوعى بأهمية دراسة أيديولوچيات الشعوب وما تحمله من موروث يمثل هويتها.

أهداف البحث

- التعرف على البعد المفاهيمى والتركيب البنائى للمجتمعات والمدن خلال مراحل تطورها حضارياً وصولاً لهويتها بما تحمله من تراث.
- دراسة لدور الأنساق الفكرية والبصرية في إيجاد ديناميكية لتفاعل الأفراد داخل تلك البيئات (المدن) وذلك التراث الممتد بما يضمن إستدامتة.
- وضع إستراتيچية تصميمة لمدينة الإسكندرية تعمل على إحياء والحفاظ على هويتها التراثية ، من خلال معالجة ما تمثله من مفردات وعناصر تترجم تاريخها الحضارى ، بصورة تجعل منها امتداد واستمرار لأفراد وأجيال لم تعاصر ذلك التاريخ (الجانب التطبيقى).

أهمية البحث

الحد من خطر العولمة الداهم الذى عمل على ذوبان العديد من الثقافات ، وطمس وتدمير قوام المجتمعات ذات التاريخ والحضارة العريقة، وتنميط سلوك أفرادها وإخضاعهم لقيم واحده ، ومن ثم وضع أنظمة تعمل على حفظ هوية وقوام المجتمعات العربية بصفة عامة والمدن المصرية بصفة خاصة ذات التاريخ العريق.

منهج البحث

يتبع البحث المنهج التاريخى والمنهج الإستقرائى والمنهج التجريبى.

حدود البحث

الحدود الزمنية :

- أربعة أشهر زيارات ميدانية ومقابلات من 2022/10/15
- ستة أشهر تصميم هوية المدينة من خلال التطبيقات الإتصالية المختلفة من 2023/2/15
- شهرين لإستطلاع رأى الخبراء والمجتمع المدنى من 2023/8/15

الحدود المكانية : مدينة الإسكندرية

الحدود الموضوعية : الحفاظ على المدن التراثية

أولاً .. البعد المفاهيمى والتركيب البنائى للمدن التراثية ..

1 - تكوين البيئة وتفاعلات عناصرها ..

البيئة في اللغة تعنى الإقامة والموضع الذى يحتاجه الإنسان كمستقر وحياة، وهى علاقة تتسع لتشمل كل ظروف البقاء للمخلوقات ، وفى فلسفة علم البيئة Ecology نرى البشرية بوصفها جزء لا يتجزء من الطبيعة تمضى في تطور بالكون قدماً من المادة الجامدة إلى الحياة والوعى ، في علاقة متبادلة بين العناصر العضوية وغير العضوية فيما يسمى النظام الإيكولوچى. (1) وتصنف البيئة **إلى ثلاثة أنواع** ..

- **بيئة مادية (التربة / الأرض)** وتعرف بأنها البيئة التي خلقها الله سبحانه وتعالى بدقة وقدر دون تدخل الإنسان ، وهى تشمل الخصائص الطبيعية كسطح الأرض (بحار ، بحيرات ، أنهار ويابس) والمناخ.
- **بيئة مصنوعة (العمران)** وهى نتيجة ومحصلة ما صنعة الإنسان من الأسطح والكتل في بيئة ما ، حاضره وماضيه ، كما تعنى ناتج تفعال الإنسان مع البيئة الطبيعية ، وهى تعتبر أقوى الظواهر المادية التى تعبر عن التفاعل بين الإنسان وبيئته. ومن هذا المنطلق تمثل تلك البيئة لغة التشكيل لملامح المكان من كتل وفراغات ، كذلك تُعرف بالنسيج المادى الذى يشبع متطلبات الإنسان المادية والروحية في إطار محددات خلفياته الاجتماعية والثقافية.

  وعند مقارنة البيئة العمرانية بالبيئة المادية (الطبيعية) نجدها تتصف بالديناميكية والتغير المستمر من فترة لأخرى وبصورة سريعية تبعاً للتطوير والنمو الذى يحققه الإنسان ، في حين الأخرى تتسم بالثبات النسبى والتغير البطىء.
- **بيئة بيولوچية (الإنسان)** والذى ينطلق منها جميع القرارات والتفاعلات مع البيئات الأخرى ، فى محاولة لإيجاد نظام فكرى واعى يساعد في البقاء البيولوچى بل يتعداه إلى الوجود الفسيولوچى والسيكولوچى والإجتماعى. (2)

وفى ذلك جاءت الكثير من الإتجاهات التي عرفت العلاقة بين الإنسان والبيئة ، بعضها رجح تأثير البيئة على الإنسان سواء بصورة مباشرة متمثلاً فى سلوكهم وإدراكهم وآدائهم أو بصورة غير مباشرة متمثلاً فى تكوين المفاهيم والقيم المرتبطة بالمواقف الإجتماعية ، وبعضها أكد تأثير الإنسان على البيئة بإعتباره الجانب الإيجابى المتحرك والمؤثر في حدوث التفاعل الذى يمثل في (تكوين فكرى) مرجعيته الثقافة والمعرفة والتقاليد الاجتماعية و (تكوين نفسى) مرجعيته إحتياجات ودوافع وإنفاعلات يسعى لتلبيتها و(تكوين حسى) مرجعيته التعرض للوسط المحيط من خلال الحواس التي تعمل كمستقبل للمثيرات الحسية المتنوعة وكل ذلك يتم من خلال توجه ذهنى (تكوين عقلى) (3) ، وآخرون أكدوا أنها علاقة متزنة ذات طبيعة تبادلية من واقع الإحتياج أو المنفعة في المقام الأول والإرتباط الوجدانى في المقام الثانى وتبعاً لدرجة مرونة البيئة المحيطة. (2)

2 - الحضارة وتشكيل المجتمعات ..

يعد مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد والدراسة ، بإعتباره مصطلح عابراً للثقافات Cross-Cultural متعدد الدلالات مختلفاً بين الحقول المعرفية ، هذه الصعوبات يمكن تحديدها فى عدة إعتبارات ..

- تنوع التقاليد واللغة فى الحضارات المختلفة.
- إختلاف مجال الدراسة وما يتربط به من سياقات وظواهر ، كعلم الاجتماع Sociology وعلم النفس Psychology وعلم الإنسان Anthrpology و علوم الفنون والعمارة والعلوم السياسة ، وغيرهم من مجالات العلوم الإنسانية والإجتماعية والطبيعية.
- التمايز الفكرى بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية ، كمرجعية عالمية.

وبالرجوع لكلمة حضارة في الأصول اليونانية واللاتينية Civilization نجدها تعنى Civites أو مدينة (بصرف النظر عن كونها عاصمة أو محافظة أو إقليم أو بلدة أو قرية) ، هذا وقد تعددت التعاريف الإصطلاحية التي تفسر مفهوم الحضارة سواء من قبل مفكرون وعلماء أوروبا (الإنجليز - الفرنسيون - الألمان) أو المسلمين ، إلا أن أكثرهم تحديداً وشمولية ما قدمه قاموس أوكسفورد بأنها (مرحلة متقدمة من النمو الفكرى والثقافى والمادى فى المجتمع البشرى والسلوك الإنسانى) ([4]) ، والذى بصددة تم تحديد الحضارة خلال القرنين ال 18 و 19 كمعيار للحكم على المجتمعات بناء على ..

- مدى الإنجازات فى كل من المجال الفكرى والفنى ، كفن العمارة والنحت والموسيقى والأدب والعلوم.
- القدرة فى السيطرة على البيئة المادية والبشرية. (5)

تطور مفهوم الحضارة أواخر القرن ال 19 ليتحدد بوصفها بعد إجتماعى ذات طابع ديناميكى (تنشأ وتزدهر وتتطور وتتكيف وتندمج مع أخرى وتنقسم وقد تندثر) بينما إتربطت الثقافة بالطابع الفكرى ، يتفاعل كلاهما بصورة تكاملية تعمل على تمايز مجتمع عن غيره. (5)

3 - هوية المدن التراثية

المدينة حقيقة تراكمية في المكان والزمان ، تشكلت من طبقات كل طبقة تثرى ما سبقتها ولا تمحيها لتُثّبت الإحساس بالزمن بشكل مكثف ، تلك الطبقات تعبير عن الظروف الروحية والمادية والإجتماعية والسياسية ، وبتغير وإختلاف هذه الظروف من مجتمع لآخر يجعل كل واحدة حالة وظاهرة فريدة لاتتكرر فيما يسمى بـــ (الهوية البصرية للمدينة). ([6])

تلك الكيانات نجدها في المدن التاريخية القديمة أمثال القاهرة الفاطمية ورشيد المملوكية ودمشق السورية وسامراء العراقية والأندلس الأسبانية ، حيث يكمن تفردها في القدرة على تذكر تاريخها بكل مراحله الزمنية ، وعند فقط المدينة قدرتها على إظهار تاريخها يمكننا الجزم بفقدان هويتها (شكل 1). ([7])

إذا كانت الهوية صورة المدينه المعنوية فإن التراث هو صورة المدينة المادية ، بوصفة تجسيم لثقافة حضارة وتاريخ يصل معرفة وموروث يرصد فكر ومصدر إلهام وإستمرار لحاضر المجتمع ومستقبله ، فالتراث كيان حى لايمكن عزله أو تجاهله بإعتباره بقايا لذكريات الماضى. ([8])

ومن ثم تعد المدن التراثية ميراث ذات قيمة متجددة تستمد جزورها من حضارة تضرب في عمق التاريخ لتشكل إنطلاقة لحاضر أصيل ومستقبل واعد تتناقله الأجيال القادمة بل يصبح إشعاع لمجتمعات العالم. المحافظة علية ليس أبعاد عاطفية أو رمزية فقط ولكن إستدامة لهوية أمم ومجتمعات. ([9])

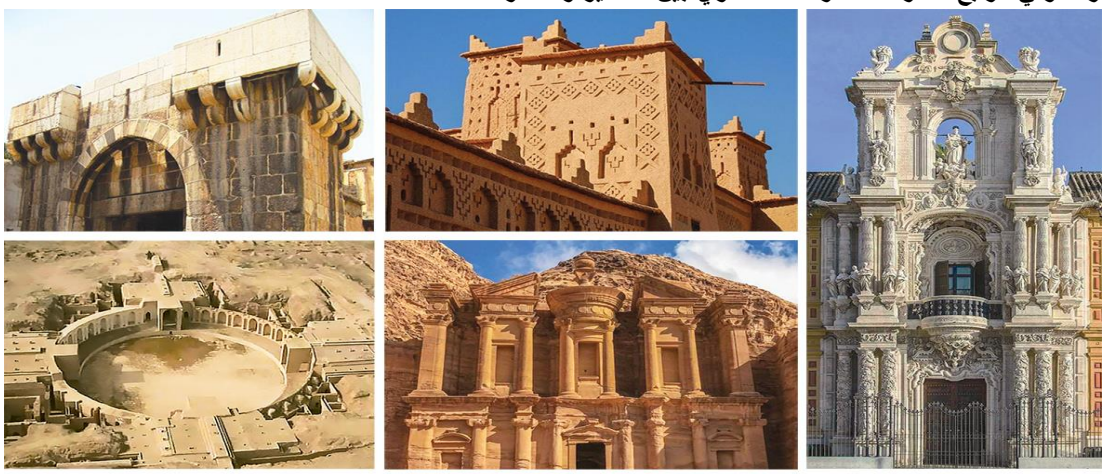

شكل (1)
نماذج لمدن تراثية عربية تاريخية تظهر مدى الإختلاف والتفرد فى النظم الفكرية وبالتالى الهوية
(الأندلس – المغرب – دمشق – الأردن – العراق)

ومما سبق نستخلص أن للمدن التراثية منهج وقوام يأتى من خلال تدرج هرمى يخضع لنسق معرفى يرتبط بالبيئة التي نشأت فية من عوامل وظروف كانت الأساس في تشكيل صورتها وملامحها ثم نسق بصرى حضارى أخرج فكره في هيئة متفردة ذات هوية خاصة تختلف في حالتها عن أي مثيل لها (شكل 2). وتلك النهج سيتم عرضه فى محور الدراسة التطبيقية الآتى (لمدينة الإسكندرية التراثية).

شكل (2)
التدرج المعرفى لبناء مدينة تراثية

ثانياً .. الأنساق البصرية ومستويات الإدراك الإجرائى

1 - البعد المفاهيمى

يعد النسق بصفة عامة نظام ومنطق للتواصل لعناصر متفاعلة بعضها البعض ، وفى سيميائية النظم البصرية يعتبر وسيلة لتبادل المعلومات والمعارف والخبرات والمشاعر بين مختلف المجالات بصورة دلالية ، ضمن خطاب يساعد في بناء المعنى لكيانات بصورة رمزية أيقونية يسهل تذكرها. يحتاج هذا المجال من الأنظمة الإتصالية مجهود كبير في تحويل الجوانب

المعلوماتية المتسعة والمعقدة إلى تبسيط وتشفير يستطيع المتلقى ترجمتها والإحتفاظ داخل الذاكرية البصرية له ، بمجرد التعرض للمثير بصرياً يستدعى المعلومة. [10])

2 - معايير البناء ..

يخضع النسق إلى طبيعة السلوك الذى يُنتهج في مسار التفعيل ، تبعاً لإتجاهيين ..

– إتجاه نحو التحليل والتفكيك إلى جزيئات تدخل في تكوين عناصر نسق آخر ضمن وحدة بصرية.

– إتجاه نحو التشكيل الجديد ، أو مايسمى الرؤية الخاصة في طرق المعالجة.

3 - الدور الإتصالى

يعتمد الإتصال الناجح على خطوات متسلسلة يضعها القائم بعملية الإتصال وفق نظام يضمن في النهاية تحقيق أهدافة هذا النظام يسمى نسق ، وفى الإتصال الجماهيرى يتم الإعتماد على تلك الأنساق في تكوين هيئات بصرية يتم فيها تحويل العناصر المادية من خلال المعالجات إلى رسائل رمزية يسهل تفسيرها والتعامل معها بأكبر قدر من الفاعلية لمستويات مختلفة من المتلقين داخل المجتمع بصورة ديناميكية تتسم بالإستمرار. [11])

ثالثاً إستراتيجية المصمم في الحفاظ على المدن التراثية (الدراسة التطبيقية لمدينة الإسكندرية التراثية)

1 - التعريف بالمدينة

جاء ميلاد الإسكندرية عام 331 BC على يد الإسكندر الأكبر الذى أراد بناء مدينة عالمية بأبعاد لم يسبق لها مثيل – حتى في أثينا بلد منشأه - على جميع الأصعدة الثقافية والإتصالية والحياتية لتصبح الأحدث والأكبر في العصور القديمة ، وذلك بناء على موقعها الجغرافى على البحر الأبيض المتوسط والذى يربط بين الشمال (أوروبا) بحضاراتها والجنوب (إفريقيا) والشرق والغرب بثرواته الطبيعية. جاء تخطيطها الهندسى المثالى ثورة في تخطيط المدن ونموذج للجغرافيا الحضارية المبنية وفق نمط شبكى مسبق التخطيط من خلال طريقين رئيسيين متقاطعين الأطول والأعرض – على المستوى العالمى في ذلك الوقت - إحداهما يربط الشرق بالغرب والآخر يربط الشمال بالجنوب يندرج منهم طرق أصغر كونت أحياء و مسارات الحركة (شكل 3).

وأصبح ميناؤها الشهير الأهم على البحر المتوسط والأكبر في مصر والذى كان سبباً في التبادل الثقافي والمعرفى قبل التبادل التجارى بين الشمال والجنوب فأصبحت بمثابة أكبر سوق في العصور القديمة إنصهر فيه فكر العالم كله ، ثم جاء بناء أشهر بناء ثقافى في العالم (مكتبة الإسكندرية العظمى) إجتمع من خلاله الحكماء والمفكرين تشاركوا معارفهم فى أول مركز أبحاث علمى عالمى متحف الإسكندرية القديم (الموزيون) والذى كان يتقدم على عصره كتقدم وكالة ناسا الآن ، أقيم كذلك أجمل مكان للصلاة في المدينة (السيرابوم المقدس) جمع طبقات الذاهدين والبسطاء مع بعضهم ، مما عمل ذالك على بناء معرفى للمجتمع بجميع فئاته.

كان يحمى المدينة من أعدائها أسوار الأطول فى العالم الغربى تمتد على مساحة 20 كيلو متر بإرتفاع 10 أمتار وسمك من : 8 7 متر وهو يعتبر بذلك أسطورة وفق المعايير الإغريقية المعروفة آنذاك ، كما جاء بناء (منارة الإسكندرية) - الأعجوبة السابعة فى العالم القديم - بطول 135 متر بمثابة أعظم صرح في العالم بعد هرم خوفو أضاء نورها ميناء الإسكندرية وحوض البحر المتوسط قرابة ال 17 قرن ليل نهار دون إنطفاء (شكل 4). ومن ثم وبذلك تشكل إرساء لكيان مجتمع وفق معايير حضارية – كما سبق ذكرها - ورؤية خاصة إمتدت لتكون بمثابة هوية لمدينة ذات طبيعة خاصة. [12])

توالت الحضارات وتضافرت العصور بعد ذلك على المدينة قرابة الـ 2350 عام مثلت خلالها أنساق فكرية وبصرية إرتبطت بثقافات مختلفة (الحضارة الرومانية والعصر الإسلامي والعصر العثمانى وصولاً للعصر الحديث) ظهرت

ملامحها في المعالم الموجود معظمها حتى الآن [13] (شكل 5) ، تلك الحقب تم رصدها في خريطة زمنية (من قبل الباحث) لتكون بمثابة مرجع للدارسين على المستوى الداخلى للمدينة ومصر كذلك الواردين من دول العالم. [14]

ظلت المدينة حتى مطلع القرن ال 20 محتفظة بصورتها وكيانها التى بدأته لتكون خالدة بهويتها (شكل 6) ، أعطى ذلك العامل لوضع إستراتيجية للحفاظ والدعم المعرفى للأجيال الحالية وتوصيل ما سبق من تاريخ وإمتداده للأجيال القادمة كمسار متصل وقدوة يعتز بها. [15]

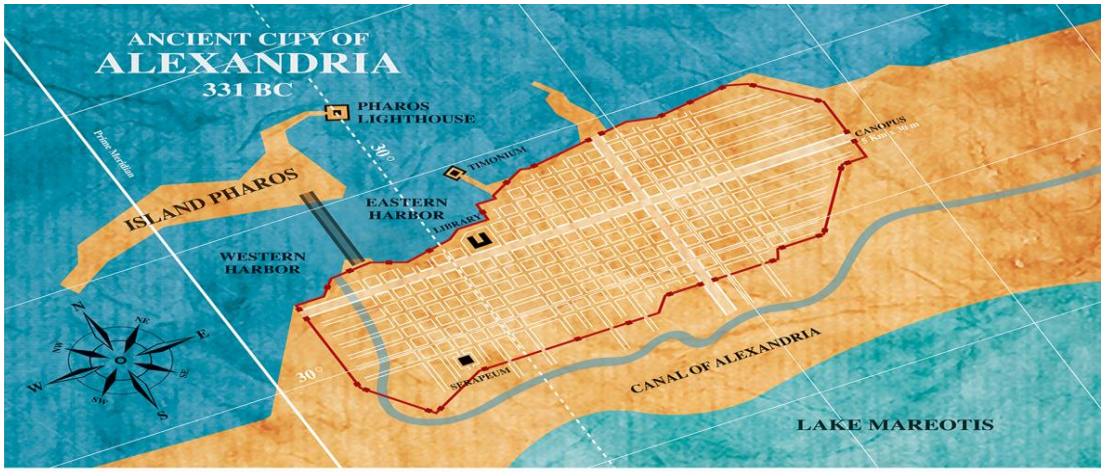

شكل (3)
التخطيط الهندسى لمدينة الإسكندرية المعد وفق نمط شبكى مثالى للجغرافيا الحضارية يرجع لـ 331BC
(إعادة رسم الباحث)

شكل (4)
الإسكندرية القديمة وعبقرية البناء 331BC ، والمتمثلة فى التخطيط الشبكى للمدينة ، مكتبة عظمى وموزيون (مركز الأبحاث) ، السرابيوم (المكتبة الصغرى) للعامة ، موانى تجارية تربط العالم ، منارة أسطورية ، أسوار شامخة دفاعية

(12) https://youtu.be/5HszJ9VqI8g?si=Tw7RVEKazTk0RphO

شكل (5)
خريطة زمنية توضح تاريخ مدينة الإسكندرية منذ بنائها حتى الآن والذى يتمثل فى 2354 عام

شكل (6)
صور وثائقية لمدينة الإسكندرية العالمية الفترة من 1900 : 1960 لمنشئات تجارية وخدمية وميادين ومدارس وشوارع وأبنية ترصد ثقافات مرت على الإسكندرية (إيطاليين - إنجليز - فرنسيين) أضافت هوية لها

([16]) https://www.facebook.com/groups/259465371879075

/([17])https://www.facebook.com/photo/?fbid=465317382306347&set=a.465317352306350&__tn__=%3C

2- دراسات حالة لمدن تراثية

مما لاشك فية أنه للخوض في أى دراسة أو تجريب عملى يجب التعرض والبحث عن حالات مشابهة فى نفس المجال لتكون بمثابة معايير حاكمة ونظم أكاديمية لتقديم أفضل الحلول ، ومن ثم تم التعرض لأمثلة متعددة ومختلفة لمدن تراثية سواء فى ثقافاتها أو طرق المعالجة الجرافيكية ضمن جوانب التطبيق الإتصالية

(شكل 7) ، من أهم تلك الدراسات ..

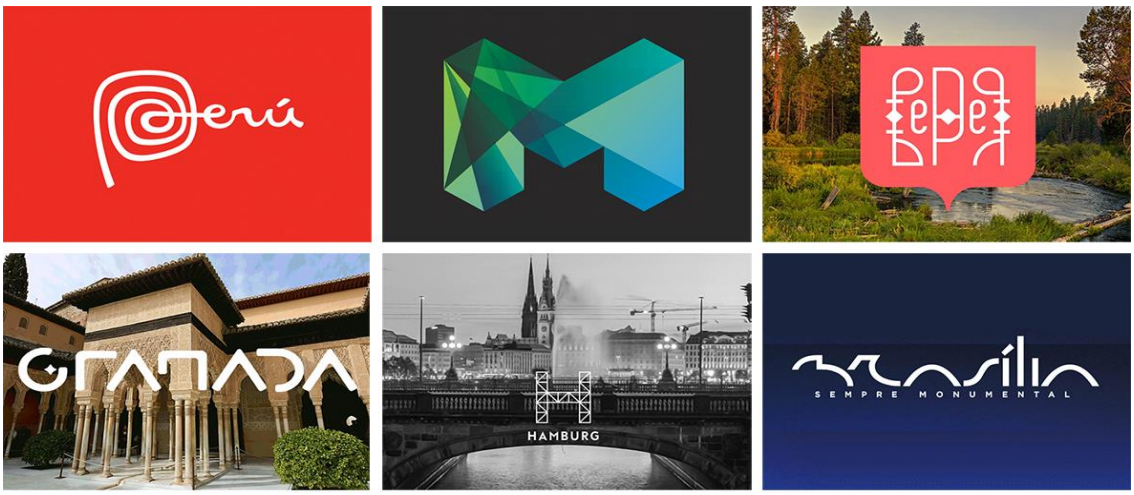

شكل (7)
نماذج توضح هوايات بصرية لمدن تراثية ، تختلف فى معالجاتها الجرافيكة تبعاً لثقافة كل مدينة

([18]) https://www.behance.net/search/projects?search=city+branding

- **مدينة طشقند الروسية**

من أكبر مدن روسيا سميت بـ (المدينة الصخرية) ، ، تأثرت بحضاراتى السغديانه والتركية قبل وصول الإسلام ، تحوى أعراق مختلفة ومختلطة ، لديها من الملامح ما يجعلها مميزة في طابعها ورؤيتها كذلك الجانب الإتصالى المقدم المعتمد على فكرة الجانب الأيقونى للدلالة على التصنيفات للخدمات التي تقدمها (شكل 8). ([19])

- **مدينة مدريد الإسبانية**

تعد رابع مدن الإتحاد الأوروبى بعد باريس ولندن وبرلين ، وأحد أهم مدن أوروبا إستراتيجياً وثقافياً ، حافظت على شكل مظهر وطبيعة الأحياء والشوارع التاريخية ، الهوية البصرية المقدمة لها فريدة في الجانب الإتصالى من خلال اللون والمعالجة الصورية والرسومية (شكل 9). (20)

- **مدينة نيويورك الأمريكية**

أحد أهم مراكز التجارة والإقتصاد عالمياً ، ومن ثم إرتبط كيانها بالإتصال الفعال والتعامل مع دول العالم أجمع ، إعتمدت ثقافتها على الحركة والديناميكية والأساليب الصاخبة وهذا ما ظهر في هوية جوانب التطبيق للمدينة ، من حيث إستخدام التيبوجرافى أو معالجة الصور بالطريقة المشوشة (شكل 10). ([21])

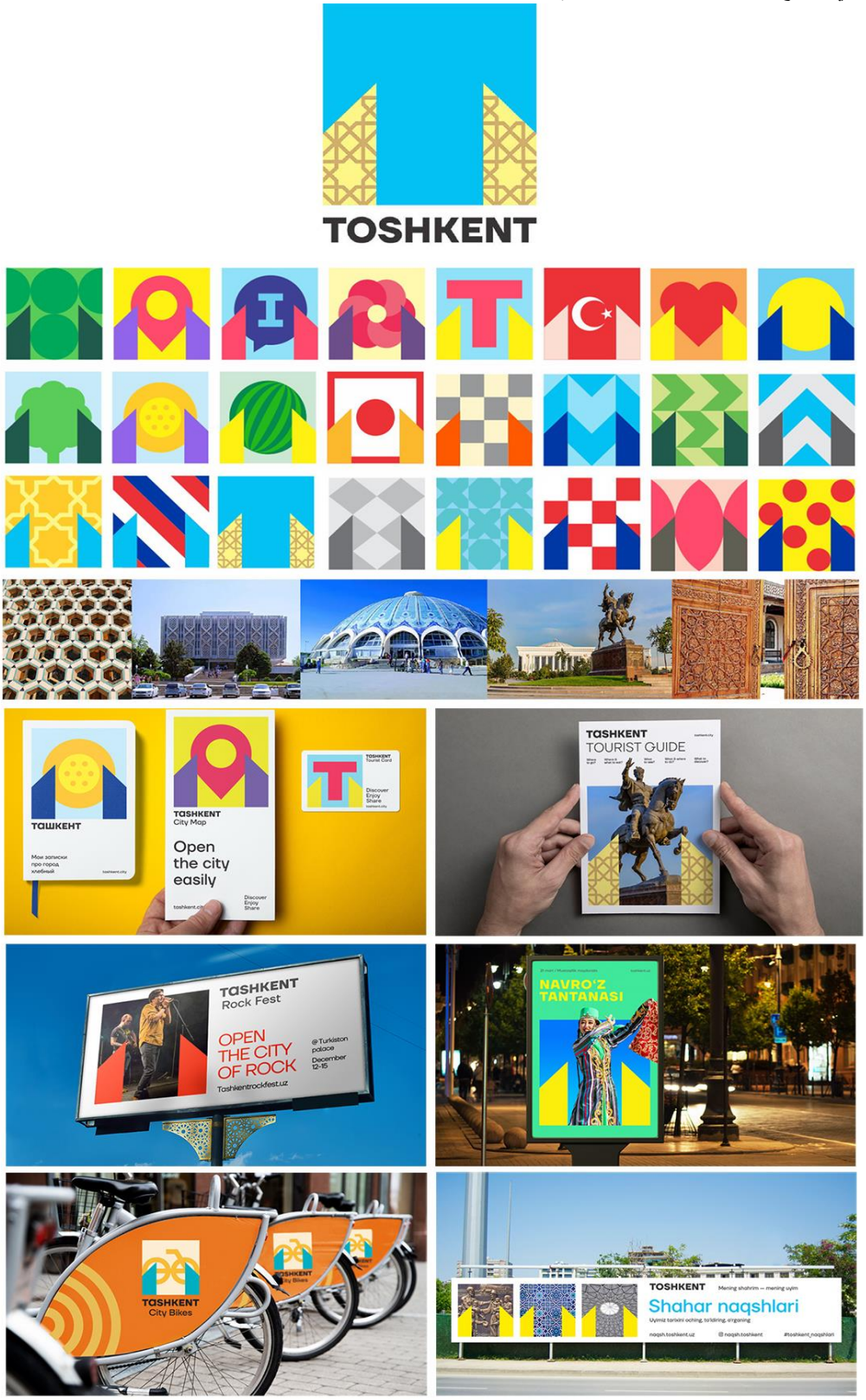

شكل (8)
الهوية البصرية لمدينة طشقند الروسية ، والتى تعتمد على النظام الأيقونى فى إظهار أنشطة المدينة

(19)https://jolbors.com/works/view/302?fbclid=IwAR26N_eqpJQJ6QVm7hgC7HXOt2xmnkHNQrC1HWxMUVRBBTZFy90dojnol6A

شكل (9)
الهوية البصرية لمدينة مدريد الإسبانية ، والتى تعتمد على النظام اللونى وإسلوب المعالجة الحر فى التنشيط السياحى للمدينة

([20]) https://www.behance.net/gallery/71996801/Madrid-Te-Abraza

شكل (10)
الهوية البصرية لمدينة نيويورك الأمريكية ، والتى تعتمد على الشعار النصى ومعالجة الصور بديناميكية تعبر عن حالة المدينة

(21)https://www.pinterest.com/pin/369787819418616463/feedback/?invite_code=2afbe5d573ce4d55b88bb6815420cfcc&sender_id=1049550025568328917

3- إستراتيجية التصميم في الحفاظ على الهوية البصرية للمدينة (الدراسة التطبيقية)

- **المفهوم والفلسفة**

تعد الإستراتيجية مجال من مجالات العلوم الإجتماعية والإدارية التي ترتبط بسلوك المؤسسات والهيئات تجاه تعاملها مع أفراد البيئة المحيطة بها التي تتصف بالديناميكية بشكل مستمر ، كذلك بهيكلة وتنظيم القرارات الوظيفية التى تضمن تحقيق

أهدافها طويلة الأمد. تلك الإستراتچية تتطلب وعى وإدراك القائم بها بأبعاد وعناصر المنظومة ، سواء المباشرة (كيانات مادية) وغير المباشرة (كيانات معنوية) لإدراة فاعلية التعامل المشترك بينها وبين المتلقى بأكبر قدر ممكن. ([22])

ومن ثم جاءت إستراتيچية الباحث وفق خطة منهجية تناولت جانبين ..

- **الأول** الدراسة الدقيقة لتاريخ مدينة الإسكندرية من فكر إرتبط بثقافات مختلفة ومتنوعة تم من خلاله بناء واقع مادى كان بمثابة تراث ممتد ذات هوية خاصة . وهو ماتم تناوله في المحور الأول من الدراسة للبيئات (المادية والمبنية والبيولچية) وكيفية تفاعها بمنظومة تولد تفرد مجتمع عن غيره .
- **والثانى** المعالجة الجرافيكية لمفردات وعناصر تلك المدينة التى ترتبط بنسق بصرى متمثل في الطبيعة وطرز العمران على مدى قرون ، وبصورة روعى فيها الجانب الإرتباطى لملامح المدينة وثقافة الأفراد في تعاملهم مع الواقع ، وهو ماتم تناوله في المحور الثانى من الدراسة (الأنساق البصرية). وقد جاء ذلك من خلال ..
- دراسة لعناصر التصميم من لون وكتابات وصور، بصورة تضمن التفاعل بينها البعض من ناحية وبينها وبين المتلقى من ناحية أخرى ، بما يتضمن الحفاظ على القيمة للمدينة والتميز والخصوصية لهويتها.
- دراسة للتطبيقات التي تمثل الجانب الإتصالى للمتلقيين من حيث الطبيعة (الوسائط المطبوعة) أو الفراغات والحركة (وسائط الأجواء المفتوحة) ، بما يضمن كل من الفاعلية المثلى لوصول الرسائل هدف البحث ، كذلك السيطرة على أكبر قدر ممكن من المتلقيين سواء على الجانب المحلى أو العالمى في نشر هوية المدينة وبما يضمن الحفاظ والإستدامه لتراثها.

- **مفردات التصميم**

اللونColor

المأخوذ من طبيعة المدنية وعناصر الطبيعة من سماء ومياه بحرية ورمال وصخور تشكل بناياتها وعماراتها (شكل 11) ، كذلك تم وضع خطة لونية Color Theme لمرونة التعامل والتطبيق للجوانب الإرتباطية بالحقب والعصور التي مرت بها (شكل 12).

الشبكة البنائية Construction Grid

والتي إستمدت من شبكة التخطيط والبناء للإسكندرية القديمة ، كجانب فكرى وهندسى يعمل على ربط الجوانب الفلسفية بالتصميم (شكل 13).

التيبوجرافى Typography

حيث قام الباحث بإنشاء أبجدية إبتكارية مبنية على غرار الشبكة السابق إعدادها ، كتمهيد للوصول لعلاقة بصرية مرتبطة بالصورة الذهنية للمدينة ، كذلك التميز في نشر شخصية الحروف العربية للعالم خاصة في الآدائيات التنفيذية للتطبيقات ومرونة التصرف (شكل 14) و (شكل 15).

شكل (11)
عناصر طبيعة الإسكندرية كمثير بصرى للخطة اللونية

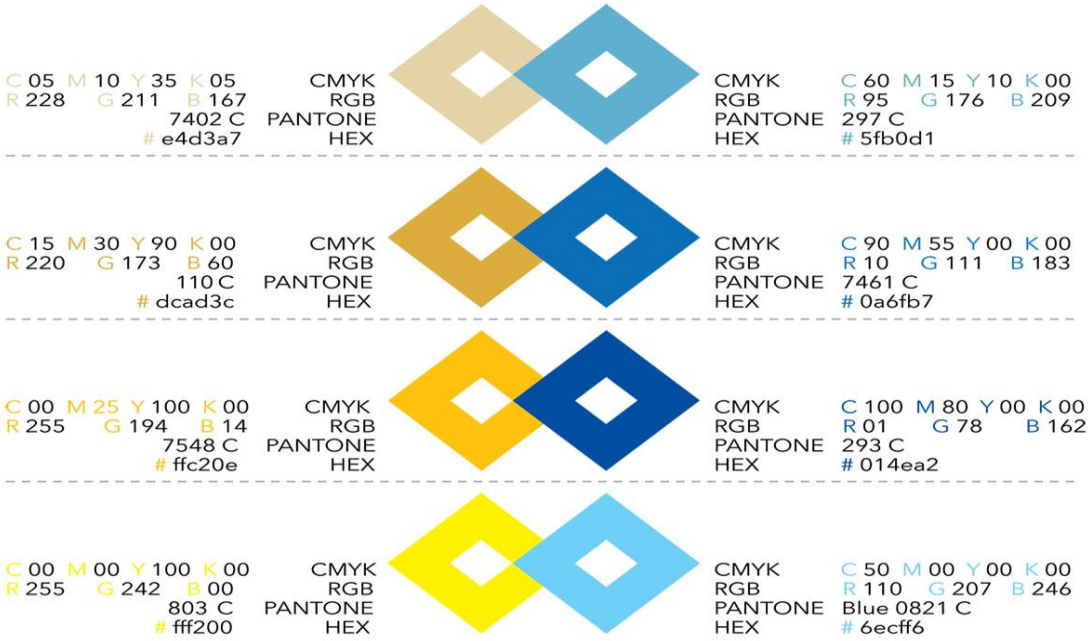

شكل (12)
الخطة اللونية المستخدمة فى تطبيقات الإتصال الجرافيكى
يظهر بها التدرج اللونى المعبر عن الحقب الزمنية لتاريخ الإسكندرية

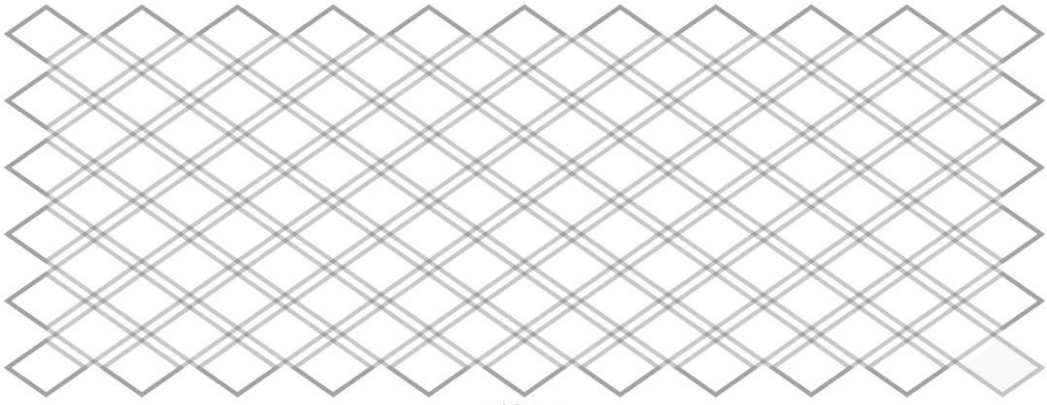

شكل (13)
الشبكة البنائية لأنظمة تطبيقات الإتصال الجرافيكى (الأبجدية الحروفية - الحملات الإعلانية - الخريطة الإرشادية - المواد الدعائية)
والمستمدة من التخطيط الشبكى الذى وضعه الإسكندر الأكبر لبناء مدينة الإسكندرية

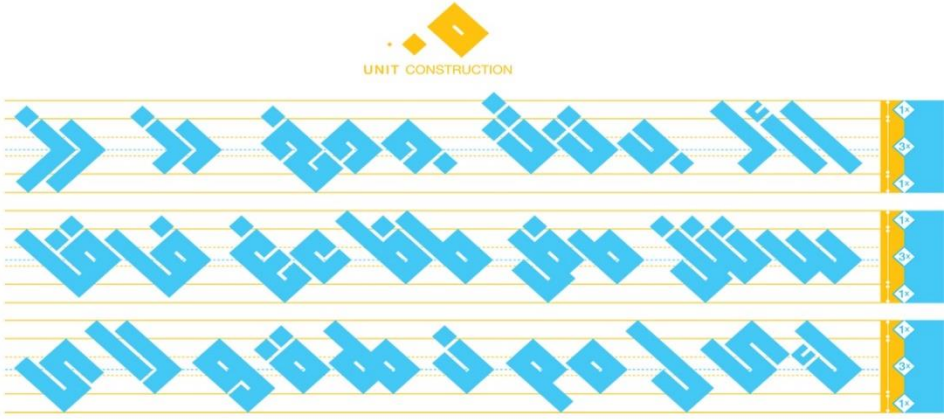

شكل (14)
النموذج الأول للنمط الطباعى (الأبجدية) المصممة للتوظيف ضمن الهوية البصرية لمدينة الإسكندرية (تصميم الباحث)
والمنفذ من خلال وحدة بنائية ذات طبيعة خاصة ترتبط بالنظام الشبكى السابق إعدادة

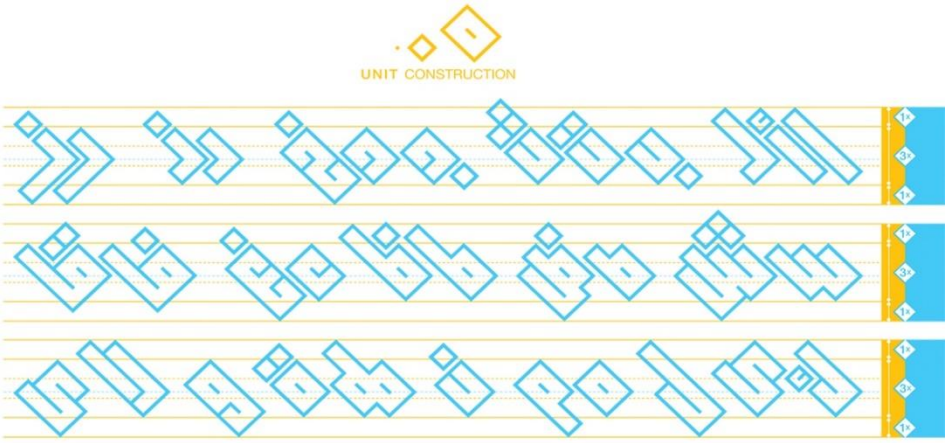

شكل (15)
النموذج الثانى للنمط الطباعى (الأبجدية) المصممة للتوظيف ضمن الهوية البصرية لمدينة الإسكندرية (تصميم الباحث)
وتبعا للمرونة التكيفية لتطبيقات وسائط الإتصال الجرافيكى

العلامة التجارية Logo Mark

تم تنفيذها من خلال الأبجدية المعدة (الإسكندرية) بصورة تحمل من المعنى الفلسفى للحركة المستوحاه من حالة المدينة في ديناميكيتها كذلك الهندسية البنائية لمعالمها وتقديمة في صوره يسهل حفظه وتذكره (شكل 16).

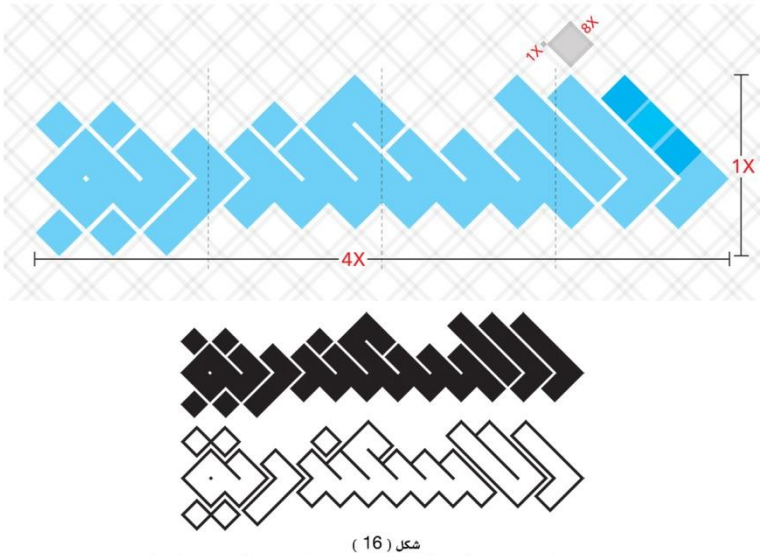

شكل (16)
مقترح الشعار النصى Logotype كعلامة هوية لمدينة الإسكندرية (تصميم الباحث)

الشعار اللفظى Slogan

حيث تم وضع جانب مفاهيمى لتجربة المدينة وما تمثلة من فلسفة حضارية تاريخة تليق بها تحت مسمى (مفهوم تراث) ، إستخدم فية الإسلوب الهندسى أيضاً في التشكيل (شكل [17]).

شكل (17)
مقترح للشعار اللفظى Slogan لمدينة الإسكندرية (تصميم الباحث)
تحت مسمى مفهوم تراث

علامات الترقيم Punctuation

لايمكن إغفال العلامات المكملة لنظم الكتابة بالأبجدية وحالاتها المختلفة ، كجوانب تطبيقية وتنفيذية لمراحل تاريخ المدينة وأزمنته التى مرت بها (شكل 18).

شكل (18)
تصميم لعلامات الترقيم Punctuation ضمن الإستخدامات الوظيفية للهوية البصرية (تصميم الباحث)

التنوع اللونى المتطابق Variations

بناء على العلاقات المختلفة في التصميم تم وضع الإفتراضات المتعددة والمختلفة في تبادل الألوان تبعاً للخطة اللونية السابقة لمعرفة التمايز فيما يستخدم أو عدمه ، وذلك طبقاً للإتصال الفعال مع المتلقى (شكل 19).

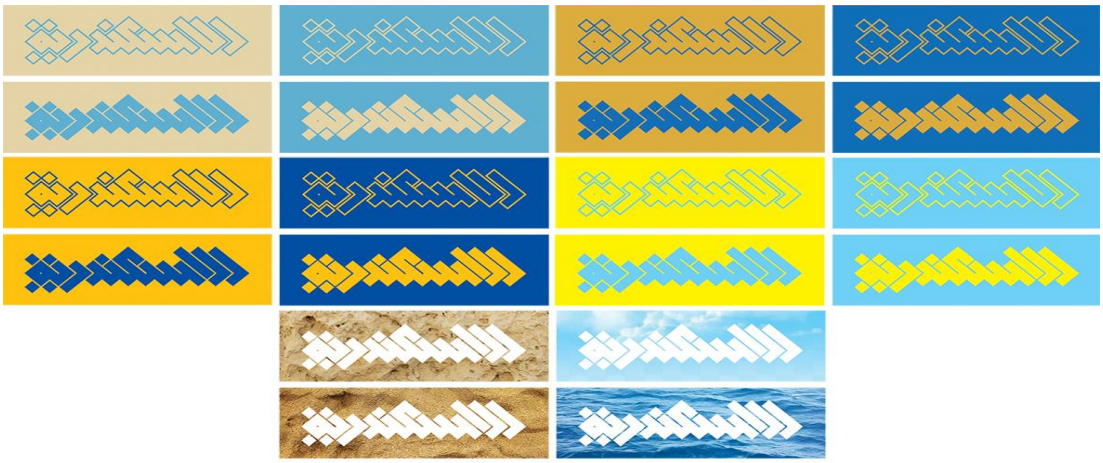

شكل (19)
أنظمة تباين الألوان Color Variations للإستفادة من أقصى علاقات الإدراك البصرى فى التطبيق

الأيقونات Icons

أو مايسمى الجوانب الرمزية ، حيث تم تصميم رموز ترتبط بفترات ومراحل تاريخ الإسكندرية للإستخدامات التطبيقية ، تم معالجتها هندسياً تبعاً للإسلوب والمنهجية التي إتخذها الباحث كنوع من أنواع الوحدة (شكل 20).

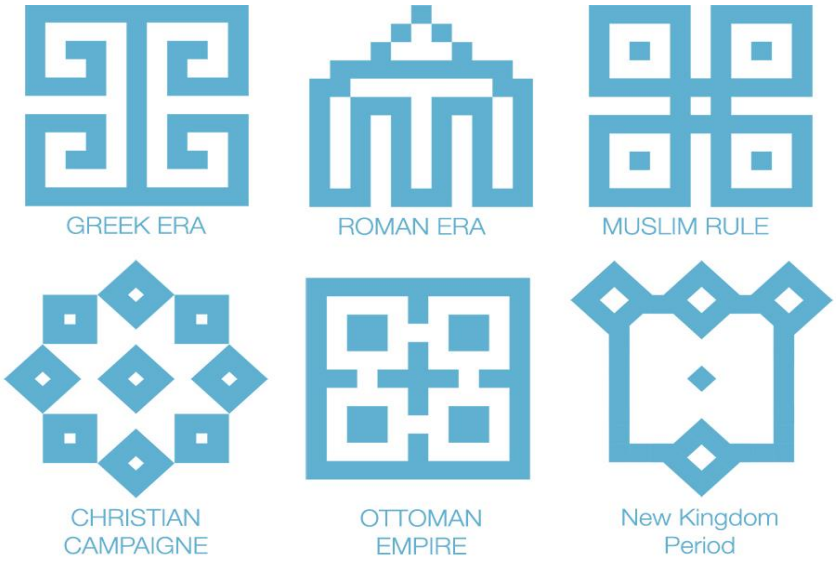

شكل (20)
نظم الأيقونات المرتبطة بالحقب الزمنية لمدينة الإسكندرية ، ضمن الإستخدام فى تطبيقات الهوية البصرية (تصميم الباحث)

- **التطبيقات الجرافيكية الإتصالية**

حيث جاءت ضمن محاور شملت كل من التعامل مع الأفراد سواء من المدينة أو خارجها على المستويين المحلى والعالمى ، كذلك الخاصة بالبيئات الداخلية أو الخاجية ، حيث تمثل ذلك في الآتى ..

مطبوعات ذات قيمة Valuable Prints

كإحدى المواد التذكارية التي يتم الإحتفاظ بها لفترات طويلة ، في هيئة طوابع روعى في تصميمهما أن تحمل أعلام المدينة على جميع الأصعدة الثقافية والفنية ... إلخ (شكل 21).

حملات إعلانية .. Campaigns

تمثل التعريف بالجوانب الأثرية التراثية والمعالم الموجوة والغير موجودة (إندثرت) ، وإرتباطها بأى من الحقب والطرز كنوع من إحياء التراث وتحفيز جانب الحفظ (شكل 22).

خريطة إرشادية Map

روعى فيها الدقة في التمثيل المعلوماتى كذلك القياسات الحقيقية بالمدينة وتوزيع لأهم المعالم التراثية لتنشيط السياحة محلياِ وعالميا ، كذلك إسلوب المعالجة جرافيكياً بما يتوافق والهوية البصرية (شكل 23).

شكل (21)
طوابع تذكارية Memorial Gifts تحمل أعلام مدينة الإسكندرية على مر العصور
كوسيلة إتصال للتعريف بتاريخها وحفظ ذكراته (تصميم الباحث)

شكل (22)
حملة إعلانية AD Campaign تتناول معالم متنوعة من حقب زمنية مختلفة
تم فيها مراعاة الخطة اللونية المرتبطة بكل فترة كذلك الأيقونات
كنظام بصري يساعد المتلقي في ترجمة الجوانب المعلوماتية وربطها بالتاريخ ومن ثم عملية الحفظ

شكل (23)
خريطة إرشادية لأهم المناطق الأثرية والسياحية والأحياء القديمة (تصميم الباحث)
مستمدة من التخطيط الشبكي للإسكندر الأكبر

الملصقات Posters

حيث يسهم ذلك في سهولة الإنتشار والتناول للجوانب المعلوماتية للمدينة ، كذلك العرض من خلال المنشاءات المختلفة السياحية والخدمية والمزارات والمطارات ... إلخ (شكل [24]).

المطويات Pamphlet

وتسهم في جوانب الإحتفاظ بالمعلومات بصورة شخصية ، كذلك التداول بصورة سلسة لغير المتواجدين في حدود المدينة ومن ثم تفاعل عملية الإتصال (شكل 25).

إعلانات الأجواء المفتوحة Outdoors Advertisements

والتي تعد من أكثر الوسائط الإتصالية فاعلية داخل المدينة ، والمتمثل في كثرة التعرض للرسائل البصرية طول الوقت وفى أي مكان ، ومن ثم جانب الإحتفاظ داخل الذاكرة البصرية (شكل 26) و (شكل 27).

إعلانات وسائل المواصلات Transportation Advertisements

والتي تعتبر أكثر أهمية من السابقة لإستدامة الحركة داخل المدينة ، كذلك كثرة تعرض الأفراد لمثل ذالك الجوانب المعلوماتية (شكل [28]).

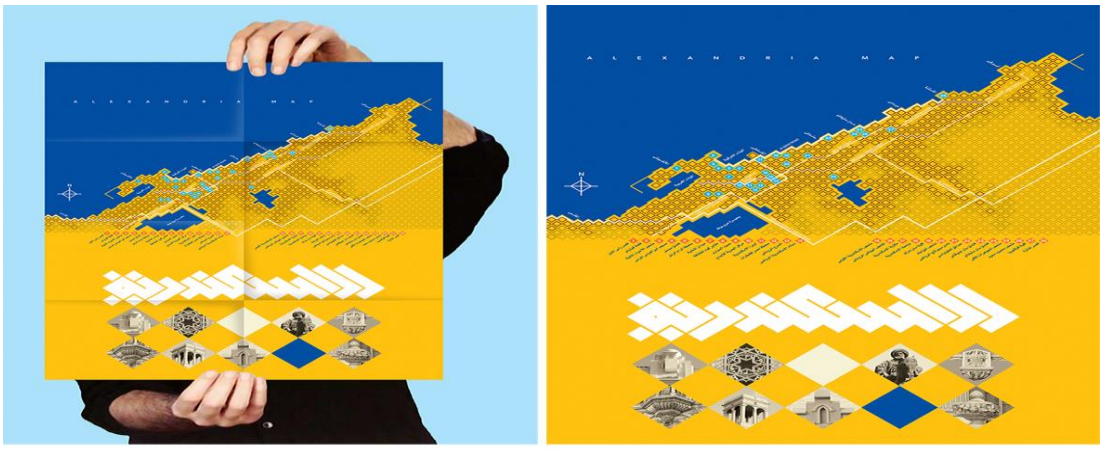

شكل (24)
خريطة للبيئات الداخلية ... تستخدم فى شركات السياحية والمطارات والمراكز الثقافية والمزارات والأسواق التجارية

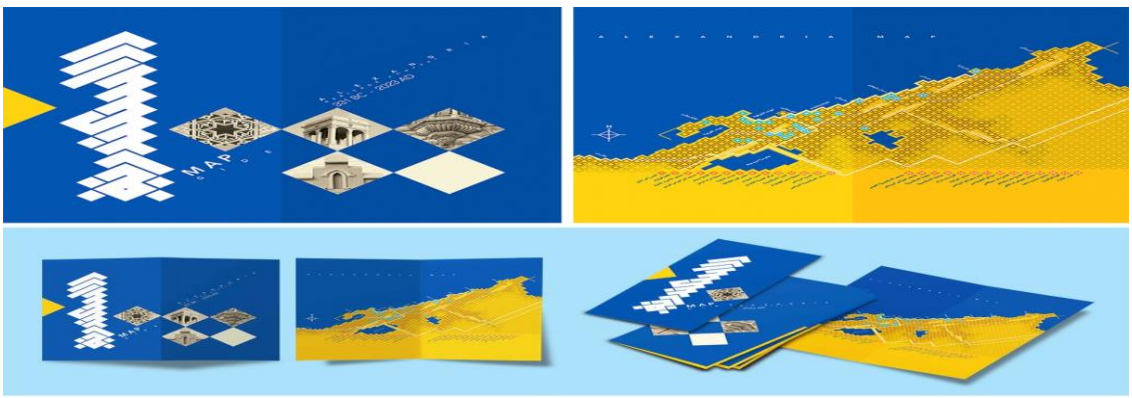

شكل (25)
مطوية إرشادية Pamphlet ضمن وسائط الإتصال المطبوع التى تساعد فى حفظ الجانب المعلوماتى للمدينة

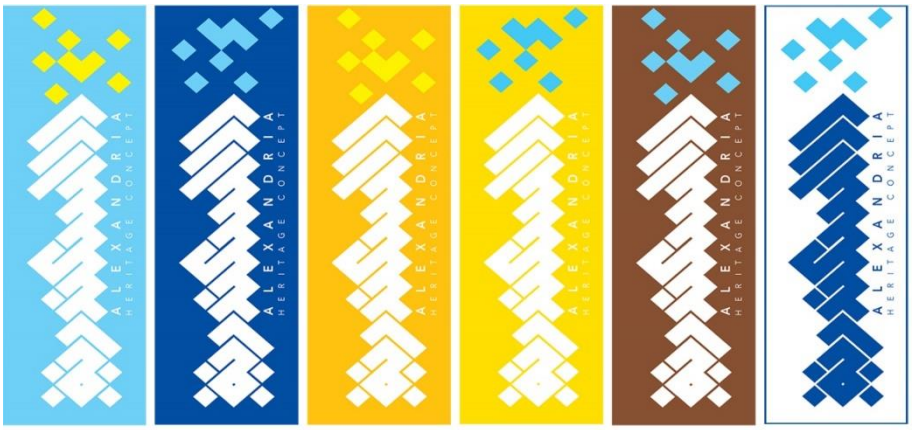

شكل (26)
إعلانات الأجواء المفتوحة Street Banners ، إحدى التطبيقات التى تساعد فى إستدامة الهوية البصرية للمدينة داخل ذاكرة المتلقى

شكل (27)
إعلانات الأجواء المفتوحة Billboard ، إحدى تطبيقات الهوية البصرية التى تساعد فى عرض تاريخ المدينة من مؤسسين ورواد وأعلام

شكل (28)
تطبيق علامة الهوية على وسائل المواصلات
للحفاظ على إستدامة فاعلية الإتصال البصرى ، فى أى مكان وأى زمان فى المدينة ، للمقيمين والزائرين

النتائج

1 . كل مدينة هى عبارة عن حالة فريدة ومتميزة غير قابلة للتكرار

2. تتشكل هوية المدن التراثية من مزيج الأنساق الفكرية والبصرية ضمان سياق وتوجه خاص يعمل داخل إطارها التاريخى والمعرفى.

3. يتطلب تصميم التطبيقات الإتصالية البصرية للمدن ذات التصنيفات الخاصة عالميا دراسة دقيقة لتاريخها على جميع الأصعدة الثقافية والاجتماعية والإقتصادية.

4. ضعف المدن التراثية العربية وعدم قدرتها على مواجهة تحديات العصر.

5. غياب التخطيط الحديث لتطوير المدن التراثية.

6. تعتبر العولمة من أهم العوامل المؤثرة فى التغير الثقافي ، فالمدينة الحديثة تختلف في التعامل معها عن المدن التراثية وذلك فيما يرتبط بالنظم الثقافية.

7. هناك العديد من المشاكل التي تؤثر في تكوين صورة زهنية واضحة للمدينة ، أهمها عدم وجود طابع وهوية واضحة للمدينة ، وعدم تكامل العناصر البصرية.

8. تقوم الحضارة على ثلاث عناصر الإنسان والتراب و الزمن ، في وجود شبكة من العلاقات الفكرية والمعرفية والبصرية.

9. المدن الثقافية نسيج من الأنساق الفكرية والبصرية ، الممتدة من البيئة والحضارة.

التوصيات ..

1. بناء قاعدة بيانات تراثية عربية تعمل على تفعيل جوانب المعرفة لدى أفراد الشعوب العربية بصفة خاصة والشعوب العالمية بصفة عامة.

2. تبنى ميثاق للحفاظ على تراث المدن والحضارات العربية.

المراجع

1. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D8%A9

2. 3li Raft : Albyaa walfragh, algza alawl , dar alshrq ،alqahra ،. 1996

على رأفت : البيئة والفراغ ، الجزء الأول ، دار الشرق ، القاهرة ، 1996 .، ص ٣٧، ٤٢،٤٤.

3. Cliff Moughtin : Urban Design – Street and Squares, Butterworth-Heinemann Ltd., Britain, 1999. P. 12

4. Bdran Bn L7sn : mfhwm al79ara, drasa t7lyla mqarna 3abra llthqafat, mgla anthrwbwlwgya, mrkz abn khldwn, gam3a q6r , 2021.

بدران بن لحسن : مفهوم الحضارة ، دراسة تحليلة مقارنة عابرة للثقافات ، مجلة أنثروبولوچيا ، مركز إبن خلدون، جامعة قطر ، 2021 . 158-164

5. Samuel P. Huntington : The Clash of Civilizations and The Remaking of World Order, 40, 41 New York, Simon & Schuster, 1996 .

6. Bell Daniel and Avner Shalit : The Spirit of Cities : Why the Identity of a City Matters in a Global Age, Princeton University Press, NewJersy, 2011.

7. Hasan Mansour. The lost identity of the city: The case of Damascus. CITTA 8th Annual Conference on Planning Research.

8. Blndr al7ydra : altrath byn alrf9 walt39b, mgla al3rba, wzara ala3lam ،1989 ،alkwyt .

بلندر الحيدرى : التراث بين الرفض والتعصب ، مجلة العربى ، وزارة الإعلام ، الكويت ، 1989.

9. 7sam aldyn 7sn: alastratygya almtkamla lsyasat adara al7fa6 alm3mara wal3mrana llmdn altrathya, klya al3mara walt9mym, alardn, 2015. mqalat

حسام الدين حسن : الإستراتيچية المتكاملة لسياسات إدارة الحفاظ المعمارى والعمرانى للمدن التراثية ، كلية العمارة والتصميم ، الأردن ، 2015 . مقالات ٢-٤

10. Ayat almka abrahym: fa smyaayat alansaq alb9rya, al3lamat alayqwnya waltshkylya, mgla symaayat,17(1):133-148.

آيات المكى إبراهيم: فى سميائيات الأنساق البصرية، العلامات الأيقونية والتشكيلية، مجلة سيمائيات، ١٧(١):١٣٣-١٤٨.

11. Gm3a brgwg: alnsq mfhwmh waqsamh: mgla mqalyd ،56-60 :13

جمعة برجوج: النسق مفهومه وأقسامه: مجلة مقاليد، ١٣: ٥٦-٦٠

12. https:// https://youtu.be/5HszJ9VqI8g?si=Tw7RVEKazTk0RphO

13. Gratyan lwbyr ،trgma zhyr alshayb : mdyna alaskndrya ،(2) m9r3a w9f mwsw ،. 2008

جراتيان لوبير ، ترجمة زهير الشايب : مدينة الإسكندرية ، موسوعة وصف مصر (2) ، 2008 .

14. m2ssa alsyd 3bd al3zyz salm : tary5 al eskndryaw7daratha fy al3sr al eslamy, shbab algam3a ll6ba3awalnshr, al eskndrya , 1982

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضاراتها في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1982 .

15. alhyaa alm9rya al3ama ،3bd al36ym rm9an : tarykh alaskndrya fy al39r al7dyth ،alqahra ،llktab ،. 1993

عبد العظيم رمضان : تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993.
16. https://www.facebook.com/groups/259465371879075/
17. https://www.facebook.com/photo/?fbid=465317382306347&set=a.465317350635 0&__tn__=%3C
18. https://www.behance.net/search/projects?search=city+branding
19. https://jolbors.com/works/view/302?fbclid=IwAR26N_eqpJQJ6QVm7hgC7HXOt2xmnkHNQrC1HWxMUVRBBTZFy90dojnol6A
20. https://www.behance.net/gallery/71996801/Madrid-Te-Abraza
21. https://www.pinterest.com/pin/369787819418616463/feedback/?invite_code=2afbe5d573ce4d55b88bb6815420cfcc&sender_id=1049550025568328917
22. 3bd alfta7 gasm (2018): mt6lbat aladara alastratygya ،9 1. al3raq: gam3a krblaa
عبد الفتاح جاسم (٢٠١٨): متطلبات الإدارة الأستراتيجية، ص ١. العراق: جامعة كربلاء.